التناسب القصصي في سورة البقرة
دراسة في هدي علم المناسبة

د.زهراء خالد سعدالله العبيدي و د.طلال يحيى ابراهيم الطوبجي
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق.
(تاريخ القبول بالنشر: 28 كانون الأول 2013)

الخلاصة

يعد التناسب دلالة من جملة الدلالات المعّول عليها في التفسير القرآني وهو من مباحث إعجاز القرآن البياني وخصائص أسلوبه ، يكمن إعجاز القرآن فيه من خلال إظهار تكامل النظم القرآني في السورة الواحدة عبر تناسب قصصها واتحاد آيها ضمن علم شريف هو علم المناسبة *.

وهذا البحث يهدف إلى إبراز وحدة سورة البقرة – وهي نموذج للقرآن المدني – و إظهار النظم الخاص لهذه السورة من حيث ترتيب قصصها؛ للكشف عن علل اختيار طرائق النظم ترتيبا واتساقا ، فعرض البحث تسلسل القصص داخل السورة موضحا تناسباتها ضمن سياق السورة ونظمها الخاص ورابطا ذلك بموضوعاتها ومضامين اسمها ومقاصدها .

ومن اعتماد الصلات الموضوعية بين قصص سورة البقرة وما أعلن عنه برهان القصص فيها من مقاصد وأهداف منوعة تصب كلها في موضوع السورة وهو غاية ما سعى له البحث من إظهار أهدافها ضمن وحدة موضوعية واحدة فأثبت اعجاز السورة فيها نفي تكرار القصص ؛ بما يناسب سياقات آيها .

مفاتيح البحث : ***علم المناسبة ، التناسب القصصي ، سورة البقرة ، قصص القران ، النظم ، علوم القران***

المقدمة

يلاحظ أنّ طائفةً من القصص القرآني ترد مرة واحدة في سورة واحدة ، ويرد بعضها الآخر في مواطن متعددة ، إذ يُعْرَضْ منها في كل مرّة ما يناسب السورة وموضوعها ، والمقاصد التي تُبينُها ، فما الذي يدعو إلى ذلك ؟

من المؤكد أنّ القصص إنما يرد في سياق السورة ليؤدي وظيفته فيه ، وقلّ أن ترد قصة بكلّ تفاصيلها في سورة واحدة، وإنما يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها . وهذا مظهر آخر من مظاهر وحدة السورة، وتناسب معانيها [١].

ومن آثار خضوع القصة في القرآن لوحدة السورة عدم الالتزام بالترتيب الطبيعي في عرض القصة ، فمرة تعرض حلقة من أوّل القصة، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها،وتارةً تعرض بكاملها،كل ذلك بحسب ما يقتضيه مقصد السورة وموضوعها [٢].

وبذلك يصّرف القرآن قصصه مفرقة على عدّة سور ، فتختصّ كل سورة بجانب ما يتلاءم مع موضوعها وشخصيتها ، وهذا خير دليل على تصريف القصص القرآني ونفي التكرار عنه؛لأن " كل مكان ذكر فيه عنصر من القصة أو كرر فيه عنصر ذكر في سورة أخرى فهذا المذكور يتناسب تناسباً كاملاً مع ما تقدم من آيات وما تأخر عنه ،أي أن كل عنصر ذكر في السورة فهو مناسب جداً لهدف السورة وجوها العام " [٣] ، ولتقرير حقيقة عدم التكرار للقصص القرآني نستدل برأي البقاعي (ت٨٨٥هـ) في قوله : " إن مناسبات القصص في السور توقفنا على معانٍ عظيمة، تدلّ على إعجاز القرآن الكريم ، وتكشف عن غامض معناه ، وبه تتبين أسرار القصص المكررات في القرآن ، فإنّ كلّ سورة أعيدت فيها

قصة ، فإنما أُعيدت لمعنى ادعي في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة ، غير المعنى الذي سيقت له في السورة الأخرى ، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض ، وتغيرت النظم بالتقديم والتأخير ، والإيجاز والتطويل " [٤] .

وأكّد ذلك سيد قطب (ت١٩٦٦م) حينما قال: "إنّ المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع كما تحدد طريقة العرض ،وخصائص الأداء " [٥] .

ففي كل سورة ما يناسبها من القصص على قدر العظة فيها ،والغرض منها وبما يثبت المقاصد التي سيقت السورة لأجلها ، والنكتة تكمن في فوائد القصص التي تجتلبها المناسبات فتذكر القصة كالبرهان على الغرض من سياقها ، ولا يعد ذكرها مع غرضها تكراراً لها ؛ لأن ما سبق من ذكرها إنما كان في مناسبات أخر [٦] .

والتكرار بهذا المعنى هو تصريف بديع في القرآن الكريم يرجع إلى السياق وموضوع السورة الذي تذكر فيه القصة ، وقد اتضح هذا الأمر جلياً حين أوقفنا الكرماني (ت بعد ٥٠٠ هـ) صاحب (البرهان في متشابه القرآن) [٧] على كلّ ما تشابهت ألفاظه في القرآن الكريم سواء أكان كلمة أم آية أم قصة ، وذكر السرّ وراء ذلك بأنه كامن في سوابق الآية، أو لواحقها ، أو هدف السورة وغرضها ، أو مناسبة اقتضت ذكر القصة مرة ثانية، لبيان جانب من جوانبها ، والتنبيه عليه، والاستدلال به .

كما أجاب الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) ضمن ذلك عن سر تكرار القصص في كتابه (درّة التنزيل) [٨] ؛ونفى أيضاً ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) التكرار في القصص في كتابه (ملاك التأويل) [٩] وأظهر جوانبه المختلفة بما يتناسب مع جو السورة وسياقها .

هذا هو شأن عرض القصص في القرآن الكريم ، والسؤال هنا هو ما شأن تعدد القصص في السورة الواحدة ، بحيث نجد في كل سورة مجموعة من مجموعة القصص ذات ترتيب بديع ، وتناسب عجيب ينبئ عن مقاصد متلائمة مع موضوعات السورة ؟ أليس ذلك سرّاً من أسرار الإعجاز؟! وخصيصة من خصائص القرآن وبلاغته العالية ؟، فالقرآن بهذا الترتيب الذي أريد به بيان عجز البشر عن الإتيان بمثله والردّ على شبهة عدد من أعداء القرآن الذين يأخذون عليه عدم الترتيب في القصص ، يعلو كل الأساليب بهذا الشأن .

وما يمكن ملاحظته على هذا الترتيب التناسبي للقصص أنه يعبر عن تماسك السورة؛ لأن إبراز مضامينها يتفق مع مضامين القصص فيها ، بحيث إن القصص تلتقي كلّها على الرغم من تباعد سياقاتها في السورة أو تقاربها فيها عند موضوع واحد يتلاءم مع هدف السورة .

إذاً هناك ترتيب دقيق للقصص القرآني داخل السورة يكشف عنه علم المناسبة عبر السياق ليثبت وحدتها .

تناسب القصص في سورة البقرة

إن من مظاهر وحدة سورة البقرة تناسب سرد القصص فيها ، وهي في عرضها لمجموعة من القصص تقتبس من واحدة منها عنواناً لها لكونها أكثر اتساقاً أو تأكيداً لمضمونها وأكثرها تفصيلاً في السورة .

وقد بدأت السورة بقصة آدم عليه السلام ، ثم قصة البقرة ، ثم قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت ، ثم قصة الملأ من بني إسرائيل مع طالوت ، ثم قصة الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربّه ، ثم قصة المارّ على القرية ، ثم قصة إبراهيم عليه السلام وسؤاله عن الحياة بعد الموت ، وجميع هذه القصص موزع على بقية أجزاء السورة وقد ذكر فيها خمسة خوارق لإحياء الموتى إلاّ أن السورة لم تُسَمَّ إلاّ بواحدة منها للأسباب التي بيناها سابقاً ، ولكن ما يجب أن لا نغفله في هذا المقام هو تقديم قصة آدم عليه السلام على غيرها من القصص .

يقول الشعراوي (ت ١٩٩٨ م) معلّلاً ذلك في ضوء ترتيب السورة : " إنّ الحق سبحانه وتعالى تحدث عن خلق الكون في أول سورة بعد فاتحة الكتاب كما جاء في الترتيب المصحفي، وبدأت كلمات الحق عن خلقه لمن يعمر ذلك الكون فكانت أول القصص التي بدأ بها الله القصص القرآني هي قصة آدم عليه السلام أول الخلق " [١٠] .

وللإمام السيوطي (ت٩١١هـ) كلام في بيان اتساق هذه القصة مع قضية (الوجود والخلق)، إذ يقول : " لما ذكر الله

تعالى خلق السموات والأرض ،وما فيهما، عقبه بذكر كيفية خلق آدم ، الذي هو في الوجود ، عقب خلق السموات والأرض " [11] .

وما يعنينا هو تناسب مجيء سياق القصة مع سياق السورة بما يوحي بتناسقها كل التناسق مع الجو الذي سيقت فيه ، ويمكن إيضاح ذلك عبر المناسبة الموضوعية بينهما :

عرضت قصة آدم عليه السلام بدءاً في سورة البقرة أول ما عرضت قضية الخلافة ، ثم موقف الملائكة منه عليه السلام ، ثم السجود له ، ثم قصته مع زوجه ، ثم هبوطهما إلى الأرض وهذه الأحداث والمواقف خالفت فيها السور الأخرى في ترتيبها إذ ابتدأت في سورة الأعراف من حادثة السجود كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِين**﴾[١١] ، وابتدأت في سورة طه من عهد الله لآدم عليه السلام كما جاء في قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى**﴾ [١١٥-١١٦] ، وفي سورة (ص) ابتدأت بالحديث عن خلق آدم عليه السلام من طين ، كما جاء في قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ۞فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين**﴾ [٧١ - ٧٢] ، وتفردت سور (الإسراء والحجر والكهف) [12] بسياق الخلق والسجود مع اختلاف طريقة العرض والأداء ، فنجد في كل سورة ما يتناسب مع موضوعها وشخصيتها ، فناسبت مدنية سورة البقرة ذكر خلافة آدم عليه السلام مقروناً بخلقه في هذا الموضع الوحيد في القرآن؛ لتحديد سمات المجتمع المسلم ، وإعطائه مقوماته الضرورية .

ارتباط القصة بالقسم الأول من السورة عبر ما اكتنفها من سياقات توحي باتصالهما معاً لإبراز مضامين السورة ، فبعد انتهاء القسم الأول من السورة الذي ختم بقوله ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ۞هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[٢٨ - ٢٩]، ابتدأت القصة بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ۞وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلآئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۞قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ۞قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ۞وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ۞وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ۞فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ۞فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ۞قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٠- ٣٨]، ثم جاء التعقيب الختامي للقصة بقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون**﴾ [٣٩]، فالملاحظ على القصة أنها وردت في سياق تذكير الناس بنعمة الله ، والتعجب من أنهم يكفرون به، بعد أن أدركوا قدرته على الإحياء والإماتة والخلق وعلمه بكل الخلق ، وإن كان السياق سابقاً قد خاطبهم (ولا سيما الكفار) بالدعوة إلى الإيمان والعودة إلى أنفسهم ليتبينوا موقفهم غير المنطقي وغير القائم على برهان في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ۞وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ**

شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ۞فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٢١ - ٢٤] ، وهذا عرض لسمات المشركين وفيه عتاب ومطالبة بتوحيد الله عبر مضمون العبادة وهي (التقوى) وعدم اتخاذ أنداد لله تعالى (وهو الشرك) من خلال إشارته إلى الظواهر الإبداعية المذكورة ، وكان من سمات شركهم التشكيك برسالة الإسلام ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [٢٣]، ونقض العهد ، وقطع الصلة ، والإفساد في الأرض في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** [٢٧] ، ثم إنكارهم ليوم البعث والجزاء عبر ظاهرة (الإحياء والإماتة) ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [٢٨] ، فالحديث عن (الاتقاء والتقوى) و (الإحياء والإماتة) سيبقيان رابطاً فنياً بين كل مقطع ومقطع من السورة.

والمهم بعدما قُرِرَ أن السورة القرآنية انتقلت إلى قصة آدم عليه السلام بعد هذا التمهيد الموضوعي لها على نحو متناسق فهي كالتي قبلها " تعداد للنعم الصارفة عن العصيان والكفر ، الداعية إلى الإيمان والطاعة " [١٣] ، وهي بذلك تتفق مع سياق (الخلق والنعم).

لقد انطوت القصة على جملة من المقاصد والأهداف لتناسب ما بنيت عليه السورة من موضوعات ، فمن جملة أهدافها التي ذكرت في التفاسير[١٤] أنّها جاءت لتعمق قضية الاهتداء بكتاب الله ، وتحذر من قضية المخالفة والكفر ، ومن ثم تعميق معنى الصراط المستقيم والسير فيه ، وتنكب صراط المغضوب عليهم والضالين ، مع ما تخللها من أوامرَ ونواهٍ توجب الالتزام بطاعة الأمر، واجتناب النهي وما يترتب على ذلك من عقاب ، وهي أيضاً تبرز قضية (العلم) ؛ لجعل من أُنيطت به خلافة الأرض ممن ينفذ أوامر الله ،ويتفكر في ملكوته، ويعقل آياته بعدما يأتيه من هدى ودلائل ، لا ليخالف كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَأُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** [٢١٣] ، وأشارت القصة إلى وحدة الإنسانية ، ووحدة دين الله المنزل إليها ، ووحدة رسالاته مع بيان الندم والتوبة ، والهداية والمغفرة في سياق العهد والنسيان للإنسان ، وتصور القصة مناط التكليف والجزاء ، كما تذكر بهدى الفطرة، وتحذر من الوقوع في الضلال الذي يكون من غواية الشيطان .

تناسب القصة مع ما عرضته السورة بعدها من الحديث عن بني إسرائيل ، وجاء ذلك عبر التعقيب الختامي على حلقة القصة الذي يعدّ مدخلاً للحديث المطوّل عن بني إسرائيل :

إنّ الموضوعات التي يتناولها القسم الخاص ببني إسرائيل بعد قصة آدم عليه السلام تركز على سلوك هذه الطائفة التي وصفها النص القرآني بصفتي (الكفر) و(التكذيب) بآيات الله تعالى تبعاً للخاتمة التي ختمت بها القصة وهي تشكل القسم الثاني من السورة، إذ نجد قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [٣٩] ، فعلى الرغم من أنّ طابعي (الكفر والتكذيب) هما سياق عام يتناول جميع البشرية إلاّ أن النص القرآني يتجه بعده إلى عرض سلوك بني إسرائيل ممثلاً بقوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾** [٤٠]، ليؤكد بعد ذلك أن بني إسرائيل هم الأنموذج الواضح والتجسيد الحيّ لصفتي (الكفر والتكذيب) ، وقد عرضت السورة طباعهم مجملة ومفصّلة لتطالبهم بالابتعاد عن هذا السلوك المنحرف ، من ذلك مطالبتهم بالوفاء بالعهد ، وبالخوف من الله تعالى ، وبالإيمان برسالة الإسلام التي بشّرت بها توراتهم ، وتحذيرهم من الكفر بها، مطالبتهم بتقوى الله تعالى ، وعدم لبس الحق بالباطل ، وعدم كتمانه، وغير ذلك .

وعن علاقة اتساق قصة آدم عليه السلام مع سياق ما بعدها من بني إسرائيل يعرض المفسرون فيها مناسبات متعددة الجوانب، نقف على بعضها إجمالاً :

قال الرازي(ت٦٠٦هـ) : " اعلم أنّه سبحانه لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولاً ثمَّ عقَّبها بذكر الإنعامات العامة لكلّ البشر عقَّبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسراً لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة ، واستمالةً لقلوبهم بسببها " [١٥] .

وقال أبو حيان (ت٧٤٥هـ): " وناسب الكلام معهم قصة آدم عليه السلام ،لأنهم بعدما اوتوا من البيان الواضح ،والدليل اللائح المذكور ذلك في التوراة والإنجيل من الإيفاء بالعهد والإيمان بالقرآن ، ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن ومن جاء به " [١٦] .

ويرى البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) أنّ تعداد النعم العامة من حيث اشتمالها على خلق الإنسان وأصوله وهو أعظم من ذلك يدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادراً على الإبداء ، وقد خاطب أهل العلم والكتاب منهم، وأمرهم أن يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أوّل من آمن بمحمد ﷺ وما أنزل عليه فقال : يا بني إسرائيل[١٧] .

وقال أبو السعود(ت٩٨٢هـ) : " (يا بني إسرائيل) تلوين للخطاب، وتوجيه له إلى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي ﷺ لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه إلى رسول الله ﷺ وأمره بتذكيرهم كلهّم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ** ﴾ الخ ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ** ﴾ الخ ،لأن المعنى- كما أشير إليه -بلّغهم كلامي واذكر لهم إذ جعلنا أباهم خليفةً في الأرض ،ومسجوداً له من الملائكة . عليهم السلام . وشرّفناه بتعليم الأسماء ،وقبلنا توبته " [١٨] .

أما سيد قطب فيجعل المناسبة بينهما في سياق الاستخلاف ، ويؤكد أنّ هناك صلة ظاهرة بين قصة استخلاف آدم عليه السلام وقصة استخلاف بني إسرائيل ؛ لذلك أعقب الجولة مع بني إسرائيل بعد قصة آدم عليه السلام ، وذكر عهد الله معهم ونكثهم له ، ونعمته عليهم ، وجحودهم بها مما ترتب على هذا حرمانهم من الخلافة ، وكتب عليهم الذلّة، وحذّر المؤمنين كيدهم ومزالقهم [١٩] .

وبعد عرض هذه الأقوال المنوّعة تبين أن هناك مناسبات كثيرة ، وروابط عديدة بين قصة آدم عليه السلام وسياق الحديث عن بني إسرائيل بعدها وليس كما زعم الشوكاني[٢٠] عدم وجود مناسبة بينهما .

وبذلك تبين لنا أيضاً تناسب حلقة قصة آدم عليه السلام مع سياق السورة السابق واللاحق بما يحقق مقاصد السورة ومضامينها .

ويمضي العنصر القصصي في سورة البقرة ؛ ليربط بين مفهومي (الإماتة والإحياء) و (التقوى) بوصفهما محورين رئيسين للسورة عبر حلقات قصصية تلتحم جميعها في إثبات وحدانية الله تعالى وإبطال الشرك ، وقد اتضح ذلك كما ذكرنا سابقاً في ختام (قصة البقرة) في قوله تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [٧٣]، ثم إيضاح مفهوم (الإتقاء) عبر التعقيب الختامي على القصة في قوله . تعالى . : ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [٧٤] ، وهذا (الإتقاء) هو جوهر العمل العبادي لكل انسان ، وهو الذي نبّهت عليه السورة من أوّلها ،وصرّفت القصص في ضوئه ؛لإظهار حصيلة الإيمان عند من اعتبر بقدرات الله .

ولبلورة فكرة (الإماتة والإحياء) تأتي قصة لاحقة في سورة البقرة تتحدث عن نمط آخر من سلوك بني إسرائيل عبر شريحة جديدة منهم ، يقدّم لها النص القرآني بقوله . تعالى . : ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [٢٤٢]، وهي تذكر بختام (قصة البقرة) في قوله تعالى: ﴿**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٧٣]، وهذا الربط بين القصتين عبر هذا المفهوم يبقى تمهيداً أو ختاماً لمواقفهم ،ويكشف عن مدى سلوكهم الملتوي لخلوه من الاتعاظ والاعتبار ، كما تعرض قصة﴿ **الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ** ﴾ مواقفهم الممتدة لما سبقها بعدم الشكر لنعم الله، وأثر فضل الله عليهم، كما توضح مبدأهم بالخوف من الجهاد،فخلو قلوبهم من التقوى جعلهم

يتقاعسون عن الجهاد، والقصة كما عرضتها سورة البقرة في قوله . تعالى . : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ [٢٤٣]، ثم تعرض السورة بعد ذلك قصة ﴿ **الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ بعد عرض موضوعين:أحدهما القتال والآخر الإنفاق وهما يتخللان القصتين [٢١] ، وتربط قصة الملأ من بني إسرائيل بظاهرة القتال لبيان حصيلة سلوكهم الذي يطبعه الجبن والعناد والتمرد ، ومما جاء في عرض القصة قوله . تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ۞وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ۞فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ۞وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ۞فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ۞تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [٢٤٦-٢٥٢] وما يعنينا من شأن القصة هو مدى توظيفها لكشف السلوك المنحرف عند بني إسرائيل ، فالتشكيك منهم واضح من قولهم أو ردِّهم نبيّهم حين قال لهم: ﴿ **هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا** ﴾ وقد انعكس هذا التشكيك على تصرفاتهم فأظهرت القصة عدم جديتهم في الانصياع لأوامر القائد بعدم الشرب من النهر ، وهروبهم من المعركة قبل بدئها واتضح ذلك عند الآية : ﴿ **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [٢٤٩] ، وقد كشفت القصة أيضاً تمردهم على القائد المنتخب ؛ لكونه لم ينتسب لسلالتهم الموروثة في الملك ، ولم يؤتَ سعةً من المال إلاّ أن النص القرآني أجابهم بأنّ الله تعالى : ﴿ **زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ﴾ ، فهم إذاً في أسئلتهم الهزيلة لم يبحثوا عن السمات الحقيقية لقائد معركتهم؛ بل انطلقوا من دافع عنصري وطبقي ظنّاً منهم أن ذلك يمكنّهم من النصر ، ولا شك أنّ أسئلتهم لم تكن إنكاراً كلّياً لأنّه بعد إظهار الحجة عليهم من نبيهم عليه السلام وهي معجزة التابوت [٢٢] تحمله الملائكة إليهم سارعوا إلى طاعته .

والملاحظ على القصة امتداد زمن سلوك بني إسرائيل إلى ما بعد زمان موسى عليه السلام ،وهذا يكشف عن كونهم سلسلة لا انقطاع لها من السلوك المنحرف طوال التاريخ، كما تكشف القصة حقيقة القلّة المؤمنة الصابرة على تحمل الشهوات والنزوات وهي التي تُؤثِر الطاعة ،وتتحمل تكاليفها؛ فتجتاز الابتلاء، وتحقق النصر[٢٣] للعقيدة الواثقة لا للقوة المادية : ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [٢٤٩].

لقد جاء عرض قصتي ﴿ **الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ** ﴾ و ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ في سياق عرض سلسلة من الأحكام ؛لتزود الرسول ﷺ بتجارب السابقين

وشدة صبرهم من أجل معالجة كل خطوة من التكاليف لإعداد الجماعة المسلمة في مجتمعهم المدني [٢٤] .

ثم تعرض السورة بعد ذلك ثلاث قصص متلاحقة وليست منفصلة بسياقات متفرقة كما هي حال القصص المتقدمة، وقد وردت هذه القصص الثلاث في سياق واحد وهو سياق (الإماتة والإحياء) هدفاً أساسياً فيهما في حين وردت القصتان السابقتان في سياق الهروب من الموت ، وسياق الكشف عن القاتل ، وبذلك تنصب القصص جميعاً حول ظاهرة (الإماتة والإحياء) بوصفها محوراً رئيساً .

وتبدأ هذه القصص بعرض قصة الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربّه ، ثم قصة المارّ على القرية ، ثم قصة إبراهيم عليه السلام وسؤاله عن الحياة بعد الموت [٢٥] ، وحلقاتها القصصية في النص القرآني كما يأتي :

١ . قصة الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربّه : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [٢٥٨] .

٢ . قصة المارّ على قرية : ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [٢٥٩].

٣ . قصة إبراهيم عليه السلام وسؤاله عن الحياة بعد الموت : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [٢٦٠].

وتتجسد ظاهرة (الإماتة والإحياء) في هذه القصص كما يأتي :

١- قصة الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربّه : ﴿ **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ** ﴾ [٢٥٨] .

٢- قصة المارّ على قرية : ﴿ **أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ** ﴾ [٢٥٩] .

٣- قصة ابراهيم عليه السلام وسؤاله عن الحياة والموت : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى** ﴾ [٢٦٠] .

فالعبارات التي بدأت بها هذه القصص الثلاث هي: (يحيي، تحيي)، وانتهت بعبارات (يميت ، أماته ، الموتى)؛ لتدل على هدف واحد .

وقد انطوت على تقابلات عدة بين إحياء جماعي وإحياء فردي، وبين إحياء بشري وإحياء حيواني ، وبين التقابل بين طوائف بشرية إيجابية وسلبية [٢٦] .

المفهوم	السياق	النتيجة
. **القصة الأولى** : تتحدث عن مطلق الإماتة والإحياء	يتحدث عن شخصية كافرة تزعم القدرة هو:(نمرود)	﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾ (التعجب)
. **القصة الثانية** : تتحدث عن إماتة مدينة وإحيائها	يتحدث عن شخصية موقنة تستبعد إحياء مدينة	﴿ **أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (التسليم)
. **القصة الثالثة** : تتحدث عن إماتة حيوان وإحيائه	يتحدث عن شخصية موقنة تريد أن يطمئن قلبها ،وتشهد تجربة الإحياء بعد الموت	﴿ **أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (بيان قدرة الله على الخوارق)

والمسوّغ الفني لضرب أمثال من هذه القصص بتتابع؛لتدل على أن يُصيّر المؤمنين إلى الإيمان باختيارهم وتوفيق الله لهم ، أو يُصيّر الكافرين إلى الكفر باختيار ولاية الطاغوت لهم ، ومن هذه الأمثال قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود؛ فقد أتى إبراهيم عليه السلام للنمرود بما يفحمه بدليل الإماتة والإحياء ،ولكنّه تولّى الطاغوت فأضلّه ، ثمّ المارّ على قرية وهي خاوية على عروشها فقال :أنَى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ ثم تولاه الله فهداه ، وثالثها ابراهيم عليه السلام الذي قال: أربني كيف تحيي الموتى فأراه الله ذلك فزاده إيماناً على إيمانه [٢٧] ، ومن هذه القصص تتبين حقيقة التقوى .

ومما يجدر التنبيه إليه أنّ قصتين من هذه القصص الثلاث تنتظمها شخصية واحدة هي شخصية إبراهيم عليه السلام ، ولذلك علاقة وثيقة بالسورة ؛ إذ نراها تتحدث عنه في مساحة واسعة منها [٢٨]،وتمنحه أهمية خاصة بعد تجسيد أول شخصية ممثلة بآدم عليه السلام ، ويمكن ملاحظة الربط بين الشخصيتين ممثلاً بجعل آدم عليه السلامخليفة في الأرض في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [٣٠] ، ثم جعل إبراهيم عليه السلام إماماً للناس في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** ﴾[١٢٤]، والإمامة هي امتداد الخلافة التي خصّ بها إبراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة ، فهي المهمة العبادية التي أكسبته سمة (الحنيفية) والتي أقرتها جميع الشرائع التي أتت بعدها ،وخُتمت بالإسلام[٢٩] .

وبعد عرض هذه الحلقات القصصية وبيان أهدافها الخاصة في السورة بحيث كانت لكلّ سورة ما يناسب سياقها من القصص نجد أن هناك تناسبات معنوية بين القصص كلّها تجمعها وحدة السورة وموضوعاتها .

أما الأهداف العامة لهذه القصص فهي جميعاً دالّة على نُبّوة الرسول ﷺ ومعجزاته [٣٠] .

ويقول المفسّر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) : " إنّ قصارى علم أهل الكتاب في ذلك العصر كان معرفة أخبار الأنبياء وأيامهم، وأخبار من جاورهم من الأمم ، فكان اشتمال القرآن على تلك القصص التي لا يعلمها إلاّ الراسخون في العلم من أهل الكتاب تحدّياً عظيماً لأهل الكتاب ، وتعجيزاً لهم بقطع حجّتهم على المسلمين " [٣١] .

كما تساق القصص في السور؛ لإبراز المضامين من كل واحدة منها " وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق ، وتحقق الجمال الفني الصادق ، الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق ، ولكن يعتمد على إبداع العرض ، وقوة الحق ، وجمال الأداء " [٣٢] .

كما أنّها تساق لبيان مكان الضالّين ، ومنزلة المهتدين ، وعاقبة الضلال وعاقبة الهداية ، وبيان ما يقاوم به النبيون وراءهم كلُّ الدعاة للحقّ [٣٣] .

نتائج البحث

إنّ علم المناسبة من الموضوعات التي تحتاج إلى مزيد من البحث ، وذلك لشرف هذا العلم وشرف العلم بشرف المعلوم كما يُقال ؛ إذ هو عِلم من علوم القرآن الكريم جدير بالبحث والدراسة ، وقضاء الأوقات في تدبر الآيات ؛ ليتراءى من خلال هذا التدبر كيف اتسق القرآن الكريم بهذا التآلف ، وكيف استقام لقصصه هذا التناسق الذي يشهد بحق وصدق على إعجازه،وما ذلك إلاّ لأنه من عند الله ، فهو كلامه الذي قال عنه :﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ [النساء : ٨٢].

أثبت البحث أنّ المناسبة مصطلح من مصطلحات علوم القرآن يقوم على الترتيبات والروابط بين الآيات والسور ، ويتناول أوجه التناسب القصصي داخل السور، ومنها سورةالبقرة –مجال التطبيق– فينتفي التكرار؛ ليثبت الإعجاز عبر برهان القصص.

أثبت الجانب التطبيقي على سورة البقرة أنّ السورة على الرغم من طولها ، وتنوع مقاصدها، وتفرق مناسبات نزول آيها لها بناء متماسك ، وروابط متينة بين معانيها، وجو خاص يظلل آياتها يحكمه في ذلك وحدة الموضوع ، والهدف الذي جاءت السورة لأجل توضيحه .

–ورغم تنوع قصص سورة البقرة إلا أنَ لهاعدة تناسبات لمفهوم (الوجود والخلق ، والإماتة والإحياء) والذي برز عبر مضمون التقوى منوعا في سياقات السورة.

وكشف لنا التناسب القصصي في سورة البقرة عن ترتيب دقيق للقصص القرآني داخل السورة ، وهو من مظاهر وحدتها، فاتحدت مضامين القصص من إثبات أصل الخلق ، وأصول التوحيد ، والبعث والنشور لتقرير أهداف السورة ومقاصدها .

التوصيات

– تناول قصص القران الكريم بمزيد من الإعجاز في ضوء علم المناسبة ؛ لإظهار التناسب بين القصص ونظم السورة ، وبما ينفي عنها التكرار.

– إدراك أوجه أخرى من المناسبات بين قصص سورة البقرة ومضامينها لم ينتبه إليها البحث ؛ لأنَّ مدارها الاجتهاد، ومحلها التأمل.

الهوامش

* من علوم القران الكريم المعني بالترتيبات والروابط بين الآيات والسور.

(١) التناسب البياني : ٦٧ .

(٢) ينظر: م . ن : ٦٧ .

(٣) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم : ٣٢٧ .

(٤) نظم الدرر ، المقدمة : ١ / ١٢ . ١٤ .

(٥) في ظلال القرآن : ١ / ٦٣ .

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ، المقدمة : ١ / ٦٨ .

(٧) ينظر: البرهان في متشابه القرآن ، الكرماني : ٢٤١ .

(٨) ينظر: درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، ابن الخطيب الإسكافي :٣٠٢.

(٩) يبظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التنزيل ، ابن الزبير الغرناطي : ٢ / ٦٧٢ . ٦٧٥ .

(١٠) قصص الأنبياء ، محمد متولي شعراوي : ١ / ٢٠ .

(١١) قطف الأزهار في كشف الأسرار ، السيوطي : ١ / ٢٢٦ .

(١٢) فما جاء منها في سورة الإسراء قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾[٦١]،أما في سورة الحجر فجاء قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[٢٨-٢٩]، وعرضت سورة الكهف آية واحدة لها هي قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾ [٥٠] .

(١٣) ينظر: تفسير المراغي : ١ / ٧٨ .

(١٤) ينظر : التفسير الكبير : ١ / ٣٨٣ ، ٤٧٣ ، تفسير المراغي : ١ / ٧٤ –٧٥ ، التحرير والتنوير: ٤١٩/١،تفسير المنار : ٢ / ١٥٧ ، في ظلال القران:٦٤/١ ٧٢،الاساس في التفسير:١١٥/١.

(١٥) التفسير الكبير : ١ / ٤٧٣ .

(١٦) البحر المحيط : ١ / ٣٢٧ . ٣٢٨ .

(١٧) أنوار التنزيل : ١ / ٢٨٠ .

(١٨) ينظر: إرشاد العقل السليم : ١ / ٩٤ .

(١٩) ينظر : في ظلال القرآن : ١ / ٧٩ .

(٢٠) = : فتح القدير ١ / ٧٣ ، ذهب الشوكاني إلى أن الحديث عن بني إسرائيل كلام مستأنف منقطع عمّا قبله ،وأن البحث عن مناسبته مع قصة آدم عليه السلام لهو ضرب من التكلف .

(٢١) وذلك للدعوة إلى الجهاد بالنفس والمال ، وهو أفضل منازل الجهاد فتساق القصص؛ لدحض حجج المتقاعسين عن القتال .

(٢٢) التابوت : صندوق التوراة كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدّمه فكانت نفوس بني إسرائيل تسكن ولا تفرّ . الكشاف : ١ / ٢٩٣ .

(٢٣) ينظر: في ظلال القرآن : ٢ / ٢١٨ . ٢٢١ .

(٢٤) ينظر: م . ن : ٣ / ٥ ، وللإمام حسن البنا (ت١٩٤٨م) رأي في هذا المجال، ومما جاء في تعليله : أنّ بني إسرائيل قد تركوا التوراة وأحكامها، وشرائعها ؛ فغزتهم العمالقة فكان لابد لهم من الجهاد في سبيل الوطن ،وهكذا جزاء الأمم التي تهمل شأنها ،وتخرج عن مقوماتها ، ينظر : نظرات في كتاب الله : ٢٢٦ .

(٢٥) وجميع هذه القصص لم ترد إلاّ مرّة واحدة في سورة البقرة .

(٢٦) ينظر: دراسات فنية : ٢٣٣ .

(٢٧) ينظر: النظم الفني في القرآن ، عبد المتعال الصعيدي : ٦١ .

(٢٨)ينظر: فقد ورد ذكر اسم سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ خمس عشرة مرّة في السورة من الآيات : (١٢٤ ، ١٢٥، ١٢٦ ، ١٢٧ ،١٣٠،١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠).

(٢٩) ينظر: في ظلال القرآن : ١ / ١٤٨ . ١٤٩ .

(٣٠) نكت الانتصار لنقل القرآن ، أبو بكر الباقلاني : ٥٩ .

(٣١) التحرير والتنوير : ١ / ٦٥ .

(٣٢) في ظلال القرآن : ١ / ٥٥ .

(٣٣)ينظر: المعجزة الكبرى : ١٦٢ .

ثبت المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت .
- الأساس في التفسير ، سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ)، ط (١) ، دار السلامة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩ م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المشهور بتفسير البيضاوي) (ت٦٨٥هـ)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، بيروت ، ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م .

البرهان في متشابه القرآن،برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني(ت٥٠٥هـ) ، تحقيق : أحمد عز الدين عبد الله خلف ، ط (٢) ، دار الوفاء مصر ، ١٤١٨ هـ. ١٩٩٨ م .

. التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر ، دار الجماهير للنشر والتوزيع ، د . ت .

- تفسير البحر المحيط ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، وشارك في تحقيقه : الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي ، الدكتور أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ. ٢٠٠١ م.
- (التفسير الكبير) المشهور بـ مفاتيح الغيب ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط (٣) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٥ م .
- تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي (ت١٣٦٥هـ)، ط (٢) ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، ١٣٨٢ هـ. ١٩٦٢ م .
- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا(ت١٩٣٥م) ، خرّج آياته وأحاديثه وشرح غريبه ، إبراهيم شمس الدين ، ط (١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٢٠ هـ. ١٩٩٩ م .
- التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، أحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، ١٩٩٢ م .
- دراسات فنية في التعبير القرآني ، محمود البستاني ، ط (٢) ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٤ م .
- درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الخطيب الاسكافي(ت٤٢٠هـ) ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ. ١٩٧٣ م .
- فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ابو عبدالله محمد بن على بن محمد الصنعاني الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- في ظلال القرآن ، قطب،سيد (ت١٩٦٦م)، ط (٨) ، دار الشروق ،بيروت، ١٣٩٩ هـ. ١٩٧٩ م .
- قطف الأزهار في كشف الأسرار ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق : أحمد بن محمد الحمادي ، ط (١) ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الدوحة . قطر ، ١٤١٤ هـ. ١٩٩٤ م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٧هـ)، دار الكتاب العربي . بيروت ، ١٣٦٦ هـ. ١٩٤٧ م .
- المعجزة الكبرى . القرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي . بيروت ، د . ت . .
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التنزيل ، أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(ت٧٠٨هـ) ، تحقيق : سعيد الفلاح ، ط (١) ، دار الغرب الإسلامي ، الحمراء . المغرب ، ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣ م .
- نظرات في كتاب الله ، حسن البنا (١٩٤٩م)، تحقيق : عصام تليمة ، تقديم : يوسف قرضاوي ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ. ٢٠٠٢ م .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين بن الحسن بن ابراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ) ، ط (١) ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية . قطر ، ١٣٨٩هـ . ١٩٦٩م .
- النظم الفني في القرآن ، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٠م .
-- نكت الانتصار لنقل القرآن ، أبو بكر الباقلاني(ت٤٠٣هـ) ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، د . ت .
- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، محمد محمود حجازي ،(ط) ١، دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدني . القاهرة ، ١٣٩٠ هـ . ١٩٧٠ م .
- قصص الأنبياء ، محمد متولي شعراوي (ت١٩٩٨م)، جمع منشاوي غانم جابر ، (ط)٢ ، مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة ،٢٠٠١م .